بهٰذين الشرطين: أن يأذنَ الله له في الكلام، وأنْ يكونَ ما تكلَّم به صواباً؛ لأنَّ ﴿ذٰلك اليوم﴾ [هو] ﴿الحقُّ﴾: الذي لا يَروج فيه الباطلُ ولا ينفعُ فيه الكذب. وفي ذٰلك اليوم ﴿يقومُ الرُّوح﴾: وهو جبريلُ عليه السلام، الذي هو أفضلُ[١] الملائكة، ﴿والملائكةُ﴾: أيضاً يقوم الجميع ﴿صفًّا﴾: خاضعين لله، لا يتكلَّمون إلَّا بإذنه[٢]. فلمَّا رَغَّب ورَهَّب وبشَّرَ وأنذر؛ قال: ﴿فَمَن شاء اتَّخذ إلى ربِّه مآباً﴾؛ أي: عملاً وقَدَمَ صدقٍ يرجع إليه يوم القيامةِ.

﴿٤٠﴾ ﴿إنَّا أنذَرْناكم عذاباً قريباً﴾: لأنَّه قد أزِفَ مقبلاً، وكلُّ ما هو آتٍ [فهو] قريبٌ. ﴿يوم ينظُرُ المرءُ ما قدَّمتْ يداه﴾؛ أي: هٰذا الذي يهمُّه ويفزع إليه، فلينظر في هٰذه الدار ما قدَّم لدار القرار[٣]، ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وَلْتَنظُرْ نفسٌ ما قدَّمت لغدٍ واتَّقوا اللهَ إنَّ الله خبيرٌ بما تعملونَ...﴾ الآيات؛ فإن وجد خيراً؛ فليحمدِ الله، وإن وجدَ غير ذٰلك؛ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه. ولهٰذا كان الكفار يتمنَّوْن الموت من شدَّة الحسرة والندم. نسأل الله أن يعافِيَنا من الكفر والشرِّ كلِّه إنَّه جوادٌ كريمٌ.

تمت[٤].

❁ ❁ ❁

تفسير سورة النازعات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ [٥]وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

---

(١) في (ب): «أشرف».
(٢) في (ب): «إلا بما أذن لهم الله به».
(٣) في (ب): «فلينظر في هذه الدنيا إليه كما قال تعالى».
(٤) طمس الذي في (أ). وفي (ب): «تمَّ تفسير سورة عم. والحمد لله رب العالمين».
(٥) في (أ): إلى قوله: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾. وفي (ب): ذكر الآيات.

﴿١ ـ ٥﴾ هٰذه الإقسامات بالملائكة الكرام وأفعالهم الدالَّة على كمال انقيادهم لأمر الله وإسراعهم في تنفيذه[١]؛ يُحتمل أنَّ المقسم عليه الجزاء والبعث؛ بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذٰلك، ويُحتمل أنَّ المقسَم عليه والمقسَم به متَّحِدان، وأنَّه أقسم على الملائكة؛ لأنَّ الإيمان بهم أحدُ أركان الإيمان الستَّة، ولأنَّ في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمَّن الجزاء الذي تتولَّاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿والنازعاتِ غَرْقاً﴾: وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوَّة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الرُّوح فتجازى بعملها. ﴿والناشطاتِ نشطاً﴾: وهي الملائكة أيضاً تجتذبُ الأرواحَ بقوَّة ونشاطٍ، أو أنَّ النشطَ[٢] يكون لأرواح المؤمنين والنَّزْع لأرواح الكفَّار. ﴿والسَّابحاتِ﴾؛ أي: المتردِّدات في الهواء صعوداً ونزولاً، ﴿سبحاً. فالسَّابقاتِ﴾: لغيرها ﴿سبقاً﴾: فتبادِرُ لأمر الله وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله؛ لئلَّا تسترِقه[٣]، ﴿فالمدبِّراتِ أمراً﴾؛ [أي]: الملائكة الذين جعلهم الله يدبِّرون[٤] كثيراً من أمور العالم العلويِّ والسفليِّ من الأمطار والنَّبات [والأشجار] والرِّياح والبحار والأجنَّة والحيوانات والجنَّة والنار وغير ذٰلك.

﴿٦ ـ ٩﴾ ﴿يومَ ترجُفُ الرَّاجفةُ﴾: وهي قيام الساعة، ﴿تتبعُها الرادفةُ﴾؛ أي: الرجفة الأخرى التي تَرْدُفُها وتأتي تلوَها. ﴿قلوبٌ يومئذٍ واجفةٌ﴾؛ أي: منزعجةٌ[٥] من شدَّة ما ترى وتسمع، ﴿أبصارُها خاشعةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ حقيرةٌ قد ملك قلوبهم الخوف وأذهل أفئدتهم الفزع وغلب عليهم التأسُّف، واستولت عليهم الحسرة.

﴿١٠ ـ ١٤﴾ ﴿يقولونَ﴾[٦]؛ أي: الكفار في الدُّنيا على وجه التكذيب: ﴿أإذا كُنَّا عظاماً نخرةً﴾؛ أي: باليةً فتاتاً، ﴿قالوا تلك إذاً كَرَّةٌ خاسرةٌ﴾؛ أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاماً نخرةً جهلاً منهم بقدرة الله وتجرياً عليه! قال الله في بيان سهولة هٰذا الأمر عليه: ﴿فإنَّما هي زجرةٌ واحدةٌ﴾: يُنفخ[٧] في الصور؛ فإذا الخلائقُ كلُّهم ﴿بالسَّاهرةِ﴾؛ أي: على وجه الأرض قيامٌ ينظرونَ، فيجمعهم الله، ويقضي بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم.

---

(١) في (ب): «تنفيذ أمره».
(٢) في (ب): «النزع».
(٣) في (ب): «حتى لا تسترقه».
(٤) في (ب): «الذين وكلهم الله أن يدبروا».
(٥) في (ب): «أي: موجفة منزعجة».
(٦) الآية (١٠) لم يفسرها المؤلف.
(٧) في (ب): «وينفخ فيها في».

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿١٥ ـ ٢٥﴾ يقول الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿هل أتاك حديثُ موسى﴾: وهٰذا الاستفهام عن أمرٍ عظيم متحقِّق وقوعه؛ أي: هل أتاك حديثه. ﴿إذ ناداه ربُّه بالوادِ المقدَّس طوىً﴾: وهو المحلُّ الذي كلَّمه الله فيه، وامتنَّ عليه بالرسالة، وابتعثه بالوحي، واجتباه[٢]، فقال له: ﴿اذهبْ إلى فرعونَ إنَّه طغى﴾؛ أي: فانهه عن طغيانه وشركه وعصيانه بقولٍ ليِّنٍ وخطابٍ لطيفٍ لعله يتذكر أو يخشى، ﴿فقُل له هل لك إلى أن تَزكَّى﴾؛ أي: هل لك في خصلةٍ حميدةٍ ومحمدةٍ جميلةٍ يتنافس فيها أولو الألباب؟ وهي أن تزكِّيَ نفسك وتطهِّرَها من دَنَس الكفر والطغيان إلى الإيمان والعمل الصالح. ﴿وأهدِيَك إلى ربِّك﴾؛ أي: أدلُّك عليه، وأبيِّن لك مواقع رضاه من مواقع سخطه، ﴿فتخشى﴾: الله إذا علمت الصراط المستقيم. فامتنع فرعون ممَّا دعاه إليه موسى، ﴿فأراه الآيةَ الكبرى﴾؛ أي: جنس الآية الكبرى؛ فلا ينافي تعدُّدها، ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ. ونزعَ يدَه فإذا هي بيضاءُ للنَّاظرين﴾. ﴿فكذَّب﴾: بالحقِّ، ﴿وعصى﴾: الأمر، ﴿ثم أدبر يسعى﴾؛ أي: يجتهد في مبارزة الحقِّ ومحاربته. ﴿فحشر﴾: جنودَه؛ أي: جمعهم، ﴿فنادى. فقال﴾: لهم: ﴿أنا ربُّكم الأعلى﴾: فأذعنوا له وأقرُّوا بباطله حين استخفَّهم. ﴿فأخذه اللهُ نَكالَ الآخرةِ والأولى﴾؛ أي: جعل الله[٣] عقوبته دليلاً وزاجراً ومبيِّنةً لعقوبة الدُّنيا والآخرة.

﴿٢٦﴾ ﴿إنَّ في ذٰلك لَعبرةً لمَن يَخْشى﴾: فإنَّ مَنْ يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر؛ فإذا رأى عقوبة فرعون؛ عرف أنَّ [كلَّ] من تكبَّر وعصى وبارز الملك الأعلى؛ يعاقِبه في الدُّنيا والآخرة، وأمَّا مَن ترحَّلت خشيةُ الله من قلبه؛ فلو جاءته كلُّ آيةٍ؛ لم يؤمنْ بها.

---

(١) في (أ): طمس، وفي (ب): ذكر الآيات إلى قوله: ﴿لعبرة لمن يخشى﴾.

(٢) في (ب): «واختصه بالوحي والاجتباء».

(٣) في (ب): «أي: صارت».

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾[١] رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿٢٧ ـ ٣٣﴾ يقول تعالى مبيناً دليلاً واضحاً لمنكري البعث ومستبعدي إعادة الله للأجساد: ﴿أأنتم﴾: أيُّها البشر، ﴿أشدُّ خلقاً أم السماءُ﴾: ذات الجرم العظيم والخلق القويِّ والارتفاع الباهر، ﴿بناها﴾: الله، ﴿رفَعَ سَمْكَها﴾؛ أي: جرمها وصورتها. ﴿فسوَّاها﴾: بإحكام وإتقانٍ يحيِّر العقول ويذهل الألباب، ﴿وأغطشَ ليلَها﴾؛ أي: أظلمه، فعمَّت الظُّلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، ﴿وأخرج ضُحاها﴾؛ أي: أظهر فيه النُّور العظيم حين أتى بالشمس، فانتشر[٢] الناس في مصالح دينهم ودُنْياهم، ﴿والأرضَ بعد ذٰلك﴾؛ أي: بعد خلق السماء ﴿دحاها﴾؛ أي: أودع فيها منافعها، وفسر ذٰلك بقوله: ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها﴾؛ أي: ثبَّتها بالأرض[٣]، فدحى الأرض بعد خَلْق السماواتِ؛ كما هو نصُّ هٰذه الآيات الكريمة، وأمَّا خلق نفس الأرض؛ فمتقدِّم على خلق السماء؛ كما قال تعالى: ﴿قل أإنَّكم لتكفرونَ بالذي خلق الأرضَ في يومين وتجعلون له أنداداً ذٰلك ربُّ العالمين...﴾ إلى أن قال: ﴿ثمَّ استوى إلى السَّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين. فقضاهنَّ سبع سمٰواتٍ...﴾: فالذي خلق السماواتِ العظام وما فيها من الأنوار والأجرام والأرض الغبراء الكثيفة[٤]، وما فيها من ضروريَّات الخلق ومنافعهم لا بدَّ أن يبعث الخلق المكلَّفين فيجازيهم بأعمالهم[٥]؛ فمن أحسن؛ فله الحسنى، وَمن أساء؛ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه.

ولهٰذا ذكر بعد هٰذا قيام الساعة ثم الجزاء[٦]، فقال:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾[٧] يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ

---

(١) في (أ): إلى قوله: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾. وفي (ب): ذكر الآيات.
(٢) في (ب): «فامتدَّ».
(٣) في (ب): «في الأرض».
(٤) في (ب): «الكثيفة الغبراء».
(٥) في (ب): «على أعمالهم».
(٦) في (ب): «ولهذا ذكر بعد هذا القيام فالجزاء».
(٧) في (أ): إلى قوله: ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾. وفي (ب) ذكر الآيات.

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾.

﴿٣٤ ـ ٣٦﴾ أي: إذا جاءت القيامةُ الكبرى والشدَّةُ العظمى، التي يَهون عندها كلُّ شدَّةٍ؛ فحينئذٍ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه، وكلُّ محبٍّ عن حبيبه، و ﴿يتذكَّرُ الإنسانُ ما سعى﴾: في الدُّنيا من خير وشرٍّ، فيتمنَّى زيادة مثقال ذرَّةٍ في حسناته، ويغمُّه ويحزن لزيادة مثقال ذرَّةٍ في سيئاته، ويعلم إذ ذاك أنَّ مادة ربحه وخسرانه ما سعاه في الدُّنيا، وينقطع كلُّ سبب ووصلةٍ كانت في الدُّنيا سوى الأعمال، ﴿وبُرِّزَت الجحيم لمن يرى﴾؛ أي: جُعِلَت في البراز ظاهرةً لكلِّ أحدٍ؛ قد هُيِّئت[1] لأهلها، واستعدَّت لأخذهم منتظرةً لأمر ربِّها.

﴿٣٧ ـ ٣٩﴾ ﴿فأمَّا مَن طغى﴾؛ أي: جاوز الحدَّ بأن تجرَّأ على المعاصي الكبار ولم يقتصرْ على ما حدَّه الله، ﴿وآثرَ الحياة الدُّنيا﴾: على الآخرة، فصار سعيه لها ووقته مستغرقاً في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة والعمل[2] لها؛ ﴿فإنَّ الجحيم هي المأوى﴾: له؛ أي: المقرُّ والمسكن لمن هٰذه حاله.

﴿٤٠ ـ ٤١﴾ ﴿وأمَّا مَنْ خافَ مقامَ ربِّه﴾؛ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل؛ فأثَّر هٰذا الخوف في قلبه، فنهى ﴿النفس عن﴾: هواها الذي يصدُّها عن طاعة الله، وصار هواه تبعاً لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصادَّيْن عن الخير؛ ﴿فإنَّ الجنَّة﴾: المشتملة على كلِّ خيرٍ وسرورٍ ونعيم، ﴿هي المأوى﴾: لمن هٰذا وصفُه.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾[3] فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾.

﴿٤٢ ـ ٤٤﴾ أي: يسألك المتعنِّتون المكذِّبون بالبعث ﴿عن الساعة﴾: متى وقوعُها؟ و﴿أيَّان مُرْساها﴾؟! فأجابهم الله بقوله: ﴿فيم أنت من ذكراها﴾؛ أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؛ فليس تحت ذٰلك نتيجةٌ، ولهٰذا لمَّا كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحةٌ دينيةٌ ولا دنيويةٌ، بل المصلحة في

---

(١) في (ب): «برزت».
(٢) في (ب): «وترك العمل لها».
(٣) في (أ): طمس. وفي (ب) إلى آخر السورة.

إخفائه[١] عليهم، طوى علم ذٰلك عن جميع الخلق واستأثر بعلمه فقال: ﴿إلى ربك منتهاها﴾؛ أي: إليه ينتهي علمها؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿يسألونَكَ عن الساعة أيَّانَ مُرْساها قل إنَّما علمُها عند ربِّي لا يُجَلِّيها لوقتها إلَّا هو﴾.

﴿٤٥ ـ ٤٦﴾ ﴿إنَّما أنت منذرُ مَنْ يَخْشاها﴾؛ أي: إنَّما نذارتك نفعها لمن يخشى مجيء الساعة ويخاف الوقوف بين يدي الله[٢]؛ فهم الذين لا يُهِمُّهم إلَّا[٣] الاستعداد لها والعمل لأجلها، وأما مَنْ لم[٤] يؤمن بها؛ فلا يُبَالى به ولا بتعنُّته؛ لأنَّه تعنتٌ مبنيٌّ على التَّكذيب والعناد[٥]، وإذا وصل إلى هٰذه الحال؛ كان الإجابة عنه عبثاً، ينزَّه أحكم الحاكمين عنه[٦].

تمت. والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ [٧]وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

سببُ[٨] نزول هٰذه الآيات الكريمات أنَّه جاء رجلٌ من المؤمنين أعمى[٩] يسألُ النبيَّ ﷺ ويتعلَّم منه، وجاءهُ رجلٌ من الأغنياء، وكان ﷺ حريصاً على هداية الخلق، فمال ﷺ وأصغى إلى الغنيِّ وصدَّ عن الأعمى الفقير؛ رجاءَ لهداية ذٰلك الغنيِّ وطمعاً في تزكيته، فعاتبه الله بهٰذا العتاب اللطيف فقال:

---

(١) في (ب): «خفائه».
(٢) في (ب): «بين يديه».
(٣) في (ب): «سوى».
(٤) في (ب): «من لا».
(٥) في (ب): «على العناد والتكذيب».
(٦) في (ب): «ينزه الحكيم عنه».
(٧) في (أ): إلى قوله: ﴿فأنت عنه تلهى﴾. وفي (ب) ذكر الآيات.
(٨) في (ب): «وسبب».
(٩) وهو عبد الله بن أم مكتوم؛ كما في «سنن الترمذي» (٣٣٣١) والحاكم (٢/ ٥١٤).